الشيخ أحمد شاكر رحمه الله وجهوده في خدمة السنة النبوية

■ بقلم الأستاذ محمد أبو صعيليك

يمكن لنا أن نعرف بالشيخ أحمد شاكر من خلال ما يلي:

أولاً : اسمه ومولده:

هو الأستاذ العلامة المحدث أبو الأشبال الشيخ أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر. ولد -رحمه الله- بعد فجر يوم الجمعة في التاسع والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩هـ الموافق ١٨٩٢م بمنزل والده بالقاهرة، ثم ارتحل مع والده إلى السودان حيث كان قد عُينَ قاضياً فيها.

ثانيا: دراسته وتعليمه :

درس الشيخ أحمد شاكر في السودان بكلية «غوردن» ثم بعد رجوعه إلى مصر درس بالإسكندرية، ثم التحق بالأزهر الذي صار والده وكيلاً لمشيخته سنة ١٣٢٨هـ .

وانتقال الشيخ إلى الأزهر كان بداية عهد جديد من حياته، فقد استطاع أن يتصل بكثير من العلماء وطلبة العلم الموجودين في القاهرة ثم بدأ ينتقل في مكتبات القاهرة ويستفيد من العلماء ويكثر من المطالعة وقد حاز على الشهادة العالمية من الأزهر سنة ١٩١٧م وعمل في

التدريس لمدة أربعة أشهر فقط، ثم عمل في سلك القضاء حتى أحيل على التقاعد سنة ١٩٥١م.

ولم ينقطع خلال فترة اشتغاله بالقضاء عن المطالعة والتصنيف، بل إنه أثرى المكتبة الإسلامية ببحوثه القيمة وتحقيقه لأمات الكتب المفيدة.

وكانت وفاته في السادس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٨م.

ثالثاً: أشهر شيوخه:

تربى الشيخ أحمد شاكر في بيئة علمية، فوالده كان وكيلاً للأزهر، وجده لأمه العالم الجليل هارون عبد الرزاق؛ بالإضافة إلى وجود الأزهر الذي كان يستقطب كبار العلماء من شتى بلدان العالم الإسلامي مما أتاح للشيخ فرصة أن ينهل من معين العلم والعلماء.

ومن أشهر العلماء الذين استفاد منهم:

١- والده العلامة محمد شاكر، وكان أعظم الناس أثراً في حياته.

٢- الشيخ عبد السلام الفقي، وقد تعلم منه كتب الأدب واللغة والشعر.

٣- الشيخ محمود أبو دقيقة، وتعلم منه الفقه وأصوله بالإضافة إلى أنه تعلم منه الفروسية، والرماية، والسباحة.

٤- علامة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي.

٥- علامة المغرب ومحدثها الشيخ عبد الله ابن إدريس السنوسي، وقد أجازه برواية صحيح البخاري وبقية الكتب الستة.

٦- الشيخ طاهر الجزائري من كبار علماء الشام.

٧- العلامة محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار، وغيرهم من جهابذة العلم.

رابعا: أشهر تلاميذه:

أخذ عن الشيخ شاكر مجموعة من التلاميذ منهم ما يلي:

١- العلامة المحقق سيد صقر، صاحب التحقيقات المعروفة.

٢- العلامة المحقق عبد السلام هارون، صاحب التحقيقات المعروفة.

٣- شقيقه العلامة المحقق أحمد شاكر.

٤- شقيقه علي شاكر.

خامساً: جهوده في خدمة السنة:

كان للشيخ جهود في خدمة السنة وهذه

تقسم إلى ما يلي:

أولاً: التحقيق: حيث قام الشيخ بتحقيق مجموعة من الكتب العلمية المفيدة، وكان من هم المصنفات التي حققها وعلق عليها:

أ . الرسالة للإمام الشافعي حيث حققه تحقيقاً علمياً ينم عن غزارة علمه وسعة اطلاعه، وهو أول كتاب عرف به الشيخ أحمد .

ب . الجامع للترمذي عن عدة نسخ، وصل فيه إلى نهاية الجزء الثاني .

ج . تحقيق وشرح مسند الإمام أحمد بن حنبل، وقد شرع بخدمة هذا الكتاب من سنة ١٩١١م، حتى بدأ بطباعته سنة ١٩٤٦م، وفهرس أحاديثه حسب الموضوعات، وخرجها وشرح مفرداته، وعلق عليه تعليقات هامة ومفيدة، ولكنه لم ينته من تخريج كامل أحاديث المسند؛ بل وصل إلى ثلث الكتاب تقريباً، وعدد الأحاديث التي حققها (٨٠٩٩) وقدم للكتاب بنقل كتابين جعلهما كالمقدمة بالنسبة للمسند هما: «خصائص المسند» للحافظ أبي موسى المديني «والمصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد» لابن الجزري.

٤- تحقيق مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري، ومعه معالم السنن للخطابي، وتهذيب ابن قيِّم الجوزية، بالاشتراك مع الشيخ محمد حامد الفقي، وطبع الكتاب في ثمانية مجلدات، وقد حقق الشيخ شاكر منه خمسة مجلدات .

٥- تحقيق صحيح ابن حبان: حقق الجزء الأول منه فقط .

٦ - تحقيق كتاب (الإحكام في أصول الأحكام) لابن حزم .

٧- تحقيق كتاب المحلى لابن حزم، حيث وصل فيه إلى نهاية المجلد السابع .

٨ - تخريج أحاديث من تفسير الطبري: شارك أخاه محمود شاكر في تخريج أحاديث بعض الأجزاء من هذا التفسير، وعلق على بعض الأحاديث إلى الجزء الثالث عشر.

٩ - تحقيق كتاب (لباب الآداب) للأمير أسامة بن منقذ المتوفى سنة ٥٨٤هـ .

١٠ - تحقيق كتاب شرح العقيدة الطحاوية .

١١- شرح العمدة لابن دقيق العيد .

١٢- الشعر والشعراء لابن قتيبة .

١٣- الأصمعيات للأصمعي .

١٤- المفضليات للضبي .

١٥- الخراج ليحيى بن آدم .

١٦- فتح المغيث للعراقي .

١٧- التحقيق في أحاديث التعليق لابن الجوزي .

١٨- الروضة الندية شرح الدرر البهية لصديق حسن خان .

١٩- المعرب للجواليقي .

٢٠- المكافأة وحسن العقبى لأسامة بن منقذ .

ثانياً-: التأليف: حيث ألف الشيخ شاكر الكتب التالية:

١ - شرح ألفية السيوطي في علم الحديث.

٢- الباعث الحثيث شرح (اختصار علوم الحديث) للحافظ ابن كثير .

٣- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير اختصره وحذف منه الأسانيد، والروايات الإسرائيلية والأحاديث الضعيفة، وتفاصيل المسائل الكلامية، وهو أفضل المختصرات التي طبعت لتفسير ابن كثير، وقد طبع كاملاً في ثلاثة مجلدات .

٤- نظام الطلاق في الإسلام .

٥- كلمة الحق .

٦- في الشرع واللغة .

٧- السمع والطاعة .

٨- كلمة الفصل في قتل شاربي الخمر .

هذا بالإضافة إلى كتب أخرى قيمة في اللغة والأدب، وبحوث مفيدة في الفقه والقضايا الاجتماعية والسياسية كتبها في مجلة (الهدي النبوي) حينما كان رئيس تحرير لها.

سادساً - من آرائه الفقهية:

كانت للشيخ آراء فقهيه منها ما يلي:

أ- جواز تقنين الأحكام الشرعية:

الشيخ أحمد محمد شاكر أجاز تقنين الأحكام الشرعية، ووضع خطة عملية لاقتباس القوانين من الشريعة الإسلامية، فقد دعا إلى العمل الجماعي واختيار لجنة من كبار علماء الشريعة، يسمو اختيارهم على الرغبات الشخصية والأهواء الحزبية، وان تكون اللجنة على علم واسع في مسائل أصول الفقه، وتعارض الأدلة والترجيح بينها ومسائل علم أصول الحديث لتحقق كل مسألة وتوحد القاعدة التي يبنى عليها الاستدلال والاستنباط، وكذلك من كبار رجال القانون غير مقيدة برأي ولا مقلدة

بمذهب إلا نصوص الكتاب والسنة، وأمامها أقوال الأئمة وقواعد الأصول وآراء الفقهاء، وتحت أنظارها آراء رجال القانون، ثم تستنبط من الفروع ما تراه صواباً، مناسباً لحال الناس وظروفهم مما يدخل تحت قواعد الكتاب والسنة ولا يصادم نصاً ولا يخالف شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة ولا قاعدة أساسية من قواعد التشريع الإسلامي، وتضع اللجنة الأسس وترسم المناهج، وتقوم بالصياغة القانونية الدقيقة، ويُعرض عملها كاملاً على الأمة، ليكون موضع البحث والنقد العلمي، فإن استقر الرأي عليه عُرض على السلطات التشريعية لإقراره واستصدار القانون للعمل به..".

وذهب بعض العلماء المعاصرين إلى منع التقنين والإلزام به، ومنهم الشيوخ: محمد الأمين الشنقيطي، وبكر أبو زيد وعبد الله البسام وأكثر أعضاء هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

١- يقول العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر: "ولم يكن الفقهاء والحكام والقضاة في العصور الأولى مقلدين، ولا جامدين؛ بل كانوا سادة مجتهدين، ثم فشا التقليد بين أكثر العلماء إلا أفرادا كانوا مصابيح هدى في كل جيل، ومع ذلك فقد كان المقلدون من العلماء يحسنون التطبيق والاستنباط في تقليدهم.. إلى أن جاء عصر ضعف المسلمين ؛ بضعف العلماء واستبداد الأمراء الجاهلين، فتتابع الناس على التقليد، اشتد تعصبهم لأقوال الفقهاء المتأخرين؛ في فروع ليست منصوصة في الكتاب والسنة.. حتى لقد عرض بعض الأمراء في الجيل الماضي على العلماء أن يضعوا قانونا شرعيا ؛ يقتبسونه من المذاهب الأربعة ؛ حرصا على ما ألفوا من التقليد، وهو طلب متواضع ؛ قد يكون علاجا وقتيا، فأبوا واستنكروا؛ فأعرض عنهم.. ثم جاءت النهضة الإسلامية الحاضرة، وقد نفخ في روحها رجال كانوا نبراس عصرهم، وفي مقدمتهم جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، ووضع أصولها عمليا، وأرسى قواعدها والدي محمد شاكر فاستيقظت العقول وثارت النفوس على التقليد، ونبغ في العلماء من يذهب الى وجوب الاجتهاد، وقد يكون اجتهادا مبتسرا، وقد يكون اجتهادا فيه خطأ كثير، ولكنه خير من الجمود".

وقال: "فأنا أرفض التقليد كله ولا أدعو إليه، سواء أكان تقليدا للمتقدمين أم

للمتأخرين ؛ ثم الاجتهاد الفردي غير منتج في وضع القوانين بل يكاد يكون محالا أن يقوم به فرد أو أفراد، والعمل الصحيح المنتج هو الاجتهاد الجماعي؛ فإذا تبودلت الأفكار، وتداولت الآراء، ظهر وجه الصواب إن شاء الله.

سابعاً: جهوده في الإصلاح السياسي والاجتماعي:

عاش الشيخ أحمد شاكر في فترة امتازت بكثرة الأحداث وتواليها، والدول الإسلامية تئن تحت نير الاستعمار الإنكليزي والفرنسي، وخور المسلمين وعجز معظم العلماء عن القيام بواجبهم، بل كانوا يشعرون بالانهزامية والصغار أمام الهجمات الفكرية للصليبيين وتلامذتهم من المستشرقين وطعنهم في هذا الدين، والتركيز على مصر المركز العلمي للعالم الإسلامي، واليهود يخططون لاحتلال فلسطين، وأحكام الشريعة الإسلامية أقصيت عن حياة الناس، بفعل الفساد والتخطيط الصليبي الماكر ضد هذه الأمة، حتى صار التدين والتمسك بدين الإسلام، وصمة عار وتخلفاً ورجعية!!.

وأمام هذه الموجات المتلاطمة والعواصف الجارفة، التي تهب بالفساد وقمع الصالحين من العباد، ونصبوا لذلك رايات في كل هضبة وواد، فلا يقوى على الصمود والمواجهة إلا العظماء من الرجال، وما دام أنه كما يقال : لكل زمان دولة ورجال، فقد هيأ الله سبحانه وتعالى الشيخ ليذود عن حياض هذه الأمة ويدافع عن شرفها وعزتها التي لا تكون أبداً إلا بتمسكها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فانبرى الشيخ للتصدي لكل الأفكار الهدامة متمسكاً بكتاب الله ملتزماً بعقيدة السلف، يقارع الأعداء وتلامذة الغرب من المستشرقين دون أن تلين له قناة أو تخور له عزيمة، مع قلة من أمثاله من الرجال.

وصار يدبج ببراعه، مقالات نفيسة وتعليقات مفيدة على بعض ما حققه من الكتب، ومن ذلك تعليقاته على تفسير ابن جرير الطبري، وعمدة التفسير مفصلاً القول عن آيات الحاكمية وتكفير من لا يحكم بشريعة الله، وتعليقاته لا تزال مصدراً هاماً لمن جاء بعده من العلماء المجاهدين، الذين فتح الله بصيرتهم ولا أريد للقارئ لمقالتي هذه أن يعيش في جو التصور النظري، بل أنصح -والدين النصيحة- بالاطلاع على كتاب «كلمة الحق» فليس من سمع كمن رأى وعندها يتعرف القارئ على مدى مقدرة الشيخ

على البيان وفصاحته، ودفاعه عن هذا الدين الحنيف، وتصديه للمبتدعين، والخرافيين وللمستشرقين وغيرهم.

وأريد أن أخص بالذكر من بين المقالات الهامة للشيخ ثلاثة مقالات هي: «أيتها الأمم المستعبدة»، «بيان إلى الأمة المصرية خاصة وإلى الأمة العربية والإسلامية عامة»، والثالثة «تحية المؤتمر العربي في قضية فلسطين».

سنلاحظ من خلالها مواقفه الحازمة وبغضه لأعداء الله، وتحريض الأمة على جهاد المستعمر الذي نهب خيرات البلاد ونشر في الأمة الفساد .

تاسعاً: منهجه في تصحيح الأسانيد:

غلب على الشيخ في مجال البحث العلمي الاهتمام بتخريج الأحاديث ودراسة أسانيدها خاصة في تخريجه لأحاديث المسند، وعند تتبع الأسانيد التي حكم عليها بالصحة، **يلاحظ أن أهم القواعد التي يسير عليها في تصحيح إسناد حديث ما هي كالآتي:**

١- إذا ذكر البخاري الراوي في «تاريخه الكبير» وسكت عنه، ولم يذكره في الضعفاء فإن الشيخ يعتبر سكوته توثيقاً للراوي.

٢- إذا ذكر ابن أبي حاتم الراوي في «الجرح والتعديل» وسكت عنه أيضا، فإن الشيخ يعتبر سكوته عن الراوي توثيقاً له.

٣- كان يعتمد على توثيق ابن حبان فالرواة الذين ذكرهم ابن حبان في كتاب «الثقات» ثقات عند الشيخ أحمد شاكر.

٤- توثيقه لـ (عبد الله بن لهيعة) بإطلاق.

٥- توثيقه للمجهول من التابعين قياساً لحالهم على حال الصحابة.

عاشراً: مآخذ على الشيخ:

ومما أخذ على الشيخ أمور هي:

الأولى: معظم الكتب الهامة التي قام بتحقيقها أو شرحها، لم يكد يتممها، وكأنه كان يشتغل بأكثر من كتاب في وقت واحد، فالترمذي والمسند وصحيح ابن حبان وتفسير ابن كثير وتفسير الطبري، وغيرها، لم تكتمل، ولو أكملها لكانت الفائدة أوسع وأكثر، فلا تكاد تجد من يسد هذا الفراغ الذي تركه الشيخ، **فمنهجه وأسلوبه يختلف عمن جاء بعده، وهذا يعود للأسباب التالية:**

أ- الاختلاف مع الناشرين .

ب- العمل في عدة مشاريع بمفرده .

ج- قلة التمويل .

د- قلة التلاميذ .

هـ- قلة الوسائل المساعدة كالفهارس .

و- قلة المصادر المطبوعة وندرة المخطوطات.

الثانية: في نقد منهجه في تصحيح الأسانيد بناء على أهم القواعد المذكورة آنفاً. فالبخاري في «التاريخ الكبير» وكذا ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» لا يعتبر سكوتهما عن الراوي تعديلاً له، فقد يذكر البخاري في كتابه راوياً ضعيفاً ويسكت عنه، وقد يسكت عن بعض الرواة المجهولين، ويسكت أحياناً عن بعض الرواة الذين لم يعرفهم ولم يفرق بين أسمائهم. وأما ابن أبي حاتم فقد يسكت عن الرواة الذين لم يتمكن من معرفة أحوالهم، فقد قال في مقدمة كتاب الجرح والتعديل: «على أنا قد ذكرنا أسامي كثيرة مهملة من الجرح والتعديل، كتبناها ليشتمل الكتاب على كل من روي عنه العلم وجاء وجود الجرح والتعديل فيهم، فنحن ملحقوها بهم من بعد إن شاء الله تعالى».

أما اعتماده على توثيق ابن حبان، فإبن حبان كان متساهلاً في التوثيق فما كل من ذكرهم في «كتاب الثقات» بثقات.

وقد تكلم عن تساهل ابن حبان في التوثيق العلامة عبد الرحمن المعلمي اليماني في كتاب «التنكيل» وكذا الشيخ ناصر الألباني في مواضع من السلسلة الضعيفة. فكان مما قاله الألباني: «إن ابن حبان متساهل في التوثيق، فإنه كثيراً ما يوثق المجهولين حتى الذين يصرح هو بنفسه أنه لا يدري من هو ولا من أبوه».

وتساهله نابع من اصطلاحه في تعريف العدل، فالعدل عنده من لم يعرف منه الجرح إذ الجرح ضد التعديل، فمن لم يعلم بجرح فهو عدل إذا لم يبين ضده إذ لم يكلف الناس معرفة ما غاب عنهم.

وأما توثيقه لعبد الله بن لهيعة بإطلاق فهو موضع انتقاد أيضاً، إذ أن عبد الله بن لهيعة ضعفه أكثر العلماء الذين يعتد بقولهم كإبن معين، والنسائي وابن المديني، والجوزجاني، وابن حبان، والذهبي، وابن خزيمة، لأنه اختلط في آخر عمره بعد احتراق كتبه وأما من روى عنه قبل الاختلاط فروايته صحيحة، والذين رووا عنه قبل أن يختلط وقبل احتراق كتبه هم العبادلة، عبد الله بن المبارك، وعبد الله بن وهب، وعبد الله بن المقرئ» وفي غير رواية هؤلاء عنه فهو

ضعيف.

وأما توثيقه للمجهولين من التابعين فليس بصحيح، وإنما فعل ذلك قياساً لحال هؤلاء على حال الصحابة، والفرق واضح، فالصحابة مشهود بعدالتهم وثقتهم، وقد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وليس حال التابعين كذلك، قال الحافظ ابن حجر: «ثم إن من بعد الصحابة تلقوا ذلك منهم وبذلوا أنفسهم في حفظه وتبليغه، وكذلك من بعدهم إلا أنه دخل فيمن بعد الصحابة في كل عصر قوم ممن ليست لهم أهلية ذلك وتبليغه، فأخطأوا مما تحملوا ونقلوا، ومنهم من تعمد ذلك فدخلت الآفة فيه من هذا الوجه، فأقام الله طائفة كثيرة من هذه الأمة للذب عن سنة نبيه ﷺ، فتكلموا في الرواة على قصد النصيحة»(٢).

لكن الشيخ أحمد شاكر إذا مر بتابعي وكان مجهولاً، فكثيراً ما يكرر العبارة الآتية: ((وهو تابعي، فأمره على الستر والعدل حتى يتبين فيه جرح)).

من مصادر الترجمة:

١ - محمد رجب البيومي - النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين - مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة.

٢ - محمود محمد شاكر - أحمد محمد شاكر إمام المحدثين - مجلة المجلة - القاهرة - العدد (١٩) - (١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م).

٣ - محمد عزت الطهطاوي - الشيخ أحمد محمد شاكر إمام من أئمة الحديث في هذا العصر - مجلة الأزهر - العدد (٥) السنة الثانية والستون - (١٤١٠هـ = ١٩٨٩م).

٤ - السيد الجميلي - طبقات المحققين والمصححين (أحمد محمد شاكر) - مجلة الأزهر - العدد (١١) السنة الثامنة والستون - (١٤١٦هـ = ١٩٩٦م).

٥- مقالات موقع الألوكة - (٢٤)

٦ - ترجمة أحمد محمد شاكر وبيان جهوده العلمية/ أبو حسان الأثري , عن شبكة الانترنت .

٧- من أعلام الدعوة الإسلامية في مصر للمستشار عبد الله العقيل، طبعة دار المأمون للتراث .

٨- الأعلام للزركلي، طبعة دار العلم للملايين .

٩- معجم المؤلفين، لعمر كحالة، طبعة دار إحياء التراث العربي .

١٠- وقائع ندوة الجهود المبذولة لخدمة السنة في جامعة الشارقة .

١١- جهود المعاصرين في خدمة السنة، تأليف: محمد عبد الله أبو صعيليك، طبعة دار القلم،